عمارة الأضرحة والمدافن عبر العصور الإسلامية

دراسة أثرية

د. جمال أحمد المومر

كلية الآثار والسياحة ، جامعة المرقب

المخلص:

يتناول هذا البحث الضريح هو مكان يدفن فيه المسلمين وكانت الأضرحة على شكل قاعدة مربعة لها باب في كل جانب، كما في اضراحة سبع بنات في مصر وتعلوها قبة قد أخذ هذا التصميم عن أول ضريح وجده في الإسلام بهذا الشكل وهو القبة الصليبية بسامراء العراق، وكانت المقابر في إيران على شكل ابراج أسطواني وقد تعلوه أغب الأحيان شكل سقف مخروطي.

المقدمة

الضريح هومدافن يسمى التربة اوالقبة لأنه أيضاً مبنى على شكل قبة اوبراج اسطوانية ذي سقف مخروطي، وكانت ملحقة بالمساجد على الأغلب، وجاء في ضريح ضريح الشئ شقة، حفرة لقبرة حفرة لميت صغيرة الشكل له ضريحأ صغير.

من ناحية شرعية مطبقآ للشريعة الإسلامية البناء على القبور يتعارض مع الأحاديث النبوية الشريفة، ويعتقد أن بناء الأضرحة على القبور المخصصة للمباني التى كانت لعبادة مخصصة لاوثان في العصر الجاهلي، خوفاً أن تصبح هذه الأماكن مزرا اويعظم أصحابها.

إما من ناحية الفنية فالفن الإسلامي موحدا في الشكل والأسلوب والمضمون ألا إن ثمة فروقا مميزة بحسب الأقاليم والعصور وبحسب التقليد التاريخي لكل أمة من الأمم الثي دخلت للإسلام.

مشكلة البحث

ماهو مامدئ تطور أهمية الأضرحة عبر العصور الإسلامية؟

فرضية البحث

إمكانية الاستفادة من هذه في طرز البناء والتي بدورها تعمل على حماية القبور من النبش والتخريب

أهداف البحث

1- الكشف عن السمات المعمارية الإنشائية لهذا الأضرحة

2-معرفة الجوانب الفنية والمعمارية لهذا العنصر المعماري

الأضرحة في العصر الفاطمي

لقد اهتم الفاطمين بعمارة الأضرحة بالإضافة إلى عمارة المساجد، بتشيد الأضرحة في مصر، ومن أهمها اضراحة لسيدة رقية، الذي شيء عام 4181، ويتكون هذا الضريح من ثلاثة حجرات تعلوه حجرة المدافن قبة، وكذلك شيء الفاطميون ضريح المشهد الحسيني الذي دفن به رأس الإمام الحسين بن علي (رضي الله عنه) والصريح الجيوش بالقلعة(1) كما في شكل رقم 1 يوضح ضريح السيدة رقية

شكل رقم 1عن لمعي مصطفى الثرات المعماري الإسلامي في مصر

والاضراحة سبعة بنات، ولقد بنيت هذه الأضرحة لسبعة الاشخاص من أسرة المغربي الذي قتله الحاكم سنة 0101 عام،

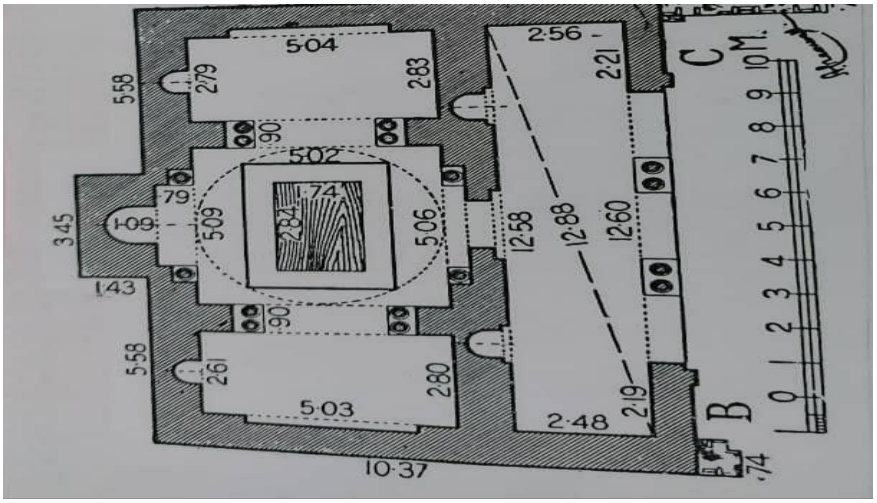

وترجع أهمية هذه الأضرحة إلى أنها أمثلة لاضراحة المبكرة الموجودة في العمارة الإسلامية، وتعتبر تحويل القبة في هذه الأضرحة نقطة البداية في طريقة تطوير القبة من المحاريب إلى الركنية إلى المقرنصات، وهذا نرى أن المنطقة المربعة قد تحولت إلى منطقة مثمنة، وتوجد الان أربعة أربعة اضريحة صغيرة (2). كما في لوحة 1

لوحة رقم 1توضح ضريحة سبعة بنات نقلاً عن مصطفى لمعي، مرجع سابق

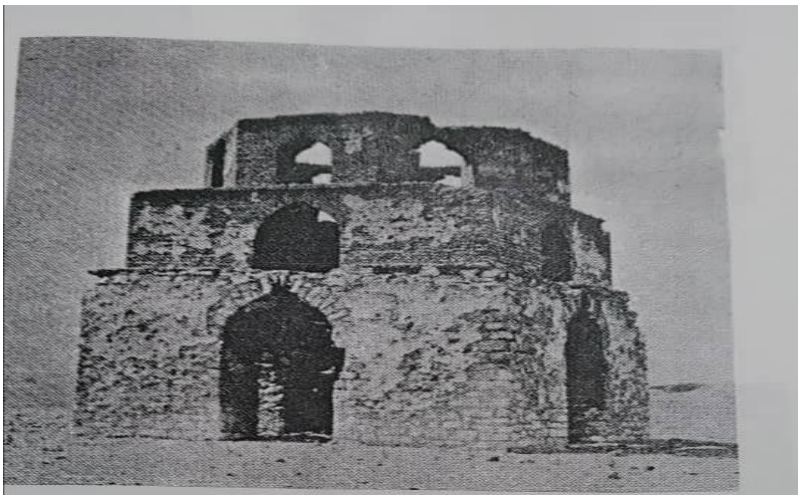

أن بناء المدافن الأربعة المعروف باسم السبعة بنات، والتي كانت في الأصل سبعة مدافن، وكل مدافن حجرة مغطاة بقبة، والجزء الأسفل من الحجر الجيري، وأما الجزء الأوسط وهم منطقة الانتقال من القاعدة إلى المربعة **يوضح ضريح سيدة رقية نقلاً** ،(3).

ووجد شاهد آخر اي ضريح غرب مدينة البيضاء بحوالي 9كم، وبالقرب من وداي الكوفة، هناك مباني مرتفعة عند مجي العرب اتخداوها مركز لهم وأطلقوا عليه اسم قصر بن قديم، وبه كتابات مكتوبة بخط الكوفي وخالي من الزخارف والنص يقرأ.

1.بسم الله الرحمن الرحيم

2.هدا قبر ساملي الرعاي توفه

3.الاثنين اول شهر صفر سنة

4.تسعة وسبعون سنة وثلاثمائة رحمة

5.الله مغفرة ورضانه

6.عليه ومن ترحم عليه كما في لوحة رقم 2

لوحة رقم 2توضح كتابات على الشواهد الأضرحة في ليبيا نقلاً عن بالحاج شواهد القبور الإسلامية في ليبيا

والشاهد يرجع تاريخ بنائه إلى حكم الخليفة الفاطمي العزيز لدين الله 56 3 / 486 والدي بلغت في عهد الخليفة الفاطمي أوجه عظمتها، وأقصى اتساعها. نلاحظ أن اسم المتوفى جاي كاملاً ومن اسمه يبدو أنه كان راعيا في مستهل حياته اوحين مماته على قبر الجنائز. (4)

المدافن في العصر السلجوقي.

كانت المدافن في العصر السلجوقي على شكل ابراج أسطوانية، أو على شكل عمائر داث قباب، وقد شي هذا النوع من الاضراحه في خراسان وانتشار منه إلى سائر أنحاء الشرق الإسلامي، وكانت المدافن على هيئة ابراج المشيدة بسيطة في العمائر التي دعت قبل الإسلام ثم أقبل السلاجقة في برج في جيادي قابوس في إقليم خورجان، وتصميمه بشكل طبقيتن يضيق قليلاً في أعلاه وينتهي بقمة مخروطه في الشكل وعليه كتابات تاريخية بخط الكوفي كتب في شريط عند المدخل 1070 م (1).

المدافن في العصر المغولي.

1. فقد ظل بناء الأضرحة المشيدة كالابراج شائعا في العصر المغولي، كما كان في العص السلوجقي ، ويظهر ذلك جالينا في الظريح المشيدة في مدينة مراغة، والدي ينسب إلى أحد بنات هولاكو، وهو مكون من برج مزين بالسفساء من الفخار المطلي وفوقه قاعدة مثمنة في الشكل(2).
2. إما الأضرحة القباب، فيظهر به أساليب المغولي حيث قبابها الخارجية زادت ارتفاعاً في العصر المغولي، مع بقاء القبة الداخلية منخفضة التي تغطي الحجرة المدافن، من الأضرحة القباب الملك، أنجلينا شيدة في سلطانة في عام 1007 (1).

ويتكون من هذا لضريح من حجرة مغطاة بقبة ضخمة مكسوة من البلاطات الخزفية، بابالون الأزرق ورفعت القبة الخارجية بواسطة الاكثاف إلى الأعلى حوله قاعدة القبة مثمن في الشكل، يعلوه مادن، به طلاء من الجص ذات لون الأبيض تحمل زخارف هندسية الشكل (2)

المدافن في العصر الأيوبي.

أصبحت المدافن في العصر الأيوبي له مداخل مقابل المحراب، ولكن له باب خشيب يغلق عليه، ووجد كالمبناي مستقل كمدافن الإمام الشافعي، وبناه صلاح الدين الأيوبي، كما شرع في سنة 555

في بناء المدرسة الصلاحية بجوار القبة، ونجد أن قبة الإمام الشافعي المربعة من الخارج أعلاه 10 أمتار، الشرفة (1).

وقد جددت قبة الضريح عدة مرت، وبالرغم من هدا التغيرات الان ان التصميم القبة الأيوبي واضح في الأصل،في رؤيته ويتكون ضريح الإمام الشافعي من حجرة كبيرة مربعة تعلوه قية، ويفصل القبة عن جدران المربع دائرة أسطوانة وتبذا منطقة الانتقال مباشرة من العقود .2)).

الأضرحة في العصر المملوكي.

انتشرت في عهد الممالك الاهتمام ببناء، المدارس التي تلحق به الضريح، منه مدرسة وقبة وبيمارستان، السلطان قلاون وتتشرك مباني المدرسة والضريح في واجهة واحدة، إلا أن المدرسة تبرز قليلاً عن الضريح، ويفصل بينهما مدخل الجامع، ويتوسط هذا الضريح قاعدة مثمنة تعلوه قبة مثمنة تحمل قبة مثمنة، ويتكون من أربعة أعمدة مصنوع من الرخام ترتبط بعقود مدببة، وتتميز محراب الضريح عن محراب المدرسة بضخضمته والزخارف (1).

وهذه الأضرحة من اورع العمايِر الدينية التي شيدت في عهد المماليك، مدرسة السلطان حسن وضريحة، ويقع هذا الضريح حلف الأوان الكبير على امتداد أحدا أذرع الصليب ويتكون من حجرة مغطاة بقبة كبيرة، وتحمل قبة أسطوانة سته صفوف من المقرنصات عل ى هيئة مقرنصات(2).

الأضرحة في العصر العثماني.

إما الأضرحة في العصر العثماني امتيازات بالبساطة، ولم تكن كاسبقتها الثي امتازت بضخانتها وبقبهابها المزخرفة، الشاهقة والكتابات المنقوشة على جدرانها، واهتم العصر العثماني بإصلاح وصيانة وترميم لاضراحة، كضريح الامام الشافعي، وضريح عمرين العاص ومسجده، وغطت جدارنها ببلاطان الخزفية ونجدها في أكثر من ضريح في تلك الفترة (1).

الطراز الإسباني

من أهم العمائر المتصلة بالمدرسة الزواية، وكانت تبني ليتعلم لطرق اتباع الطريقه الدينية إلى جانب ضريح من أولياء الله، فكانت تجمع بين المدرسة والضريح والخانقاه (2)

وانتشرت في بلاد المغرب قبور الأولياء، وأكثر أنواع هذا القبور انتشار في قريات والمدن الريقي، وتتألف من قبة نصف كروية على قاعدة مكعبة، وقد تفصليها رقبة تقوم عليها قبة، وقد تكون جدارن القاعدة مفتوحة من الجوانب بواسطة عقد على هيئة حدوة الفرس، (3).

إما بالنسبه لقبور الأمراء، فكانت في غاية الفخامة، وقد اختلفت قبور الأمراء غرناطة ملوك غرناطة، وكذلك قبور مرناة في مدينة فاس بالمغرب، فلم يبق منه الأطلال مبعثرة، وبه زخارف نباتية مبعثرة (1).

الطراز الصفوي

فقد عرف الصفويين نوعين من الأضرحة، وقد كانت في غرب إيران عبارة عن ردهة يليها بناء تعلوه قبة، وفي شرق إيران كانت الأضرحة عبارة عن جوسق ممثمن الاطلاع، (1).

من إبداع ماينسب إلى الشيخ صفي الذين باربيل، الذي شيده في القرن العشر ميلادي، ثم إكمال هدا الضريح في نهاية القرن العاشر ميلادي، وهذا الضريح له مدخل ضخم الشكل، وله عقذ نصف دائري مدبب قليلاً تعلوه مقرنصات (2).

الخاتمة

ومما سبق من خلال البحث يتتضح لنا أن هناك تنوع في بناء عمارة الأضرحة والمدافن، عبر العصور الإسلامية، قد ابدعوا المسلمين في عمائرهم، نجد ذلك واضحا في بناء المساجد والقصور وغيرها، التي تميز به العالم الإسلامي في ذلك الوقت.

وأما بخصوص موضوع هذا البحث، فيمكان القول إن من ناحية معمارية، انهم ابدعوا وتفننون في عمارة الأضرحة والمدافن حتى اخدت عددت أشكال هندسية متنوعة، حسب كل عصر إسلامي وطرز، وخاصتنا قبور اضراحة الأمراء والملوك.

المصادر والمراجع :

1_كويل، ارنيت، الفن الإسلامي، ترجمة احمد موسى، ذار صادر القاهرة، 966

_2لمعي مصطفى، الثراث العربية الإسلامي في مصر، دار النهضة، العربية، بيروت 1984

3_ مياسنا غاسبيري، المعماري الإسلامي في ليبيا، ترجمة علي الصادق، دار الجبل بيروت، 1989

4_والي طه، المساجد في الإسلام، دار العلم الملايين بيروت، 1988

5_رافت النبوراي، الآثار الإسلامية في مصر القاهرة، 2006

7_النوراي، رياض الصالحين القاهرة، 2003

8_عبدالجواد أحمد، تاريخ العمارة الإسلامية، دار النشر القاهرة، 1979

المجلات والدوريات

سليمان بالحاج، شواهد القبور الإسلامية في ليبيا، مجلة ليبيا،القديمة، الادراة العامة للآثار، المجلد الخامس، 1986.